

## موضوع خاص بطلبة الماستر تاريخ 2019-2020

يتعلق بالمقاومة والاتجاهات

بعنوان: موقف الحسن بن عزوز الجزائري من الاحتلال الفرنسي

إعداد الدكتور: عميراي حميده

كان البناء الاجتماعي والسياسي الجزائري في المدينة خلال القرن التاسع عشر يختلف عن مثيله في الريف؛ وهذا يعكس التكوين الفكري للتشكيلات الاجتماعية الجزائرية

أمام هذا الواقع الجزائري المختلف فيما بينه كان الدخيل الأجنبي الأوروبي في الجزائر مناقضا لهذه المستويات الفكرية ومتناقضا فيما بينه؛ إذ كان هذا الدخيل مشدودا إلى اختلافات فكرية مثلتها كل من الليبرالية والكاثوليكية والماسونية والسان سيمونية، ووجدت هذه التيارات في الجزائر الحقل الخصب لاستثمار مشاريعها؛ وكانت كلها متفقة على هدفٍ تمثل في ضرورة احتلال الجزائر كلها؛ مثلما اتفقت على أن يكون الغزو للجزائر فرنسيا ولكن الاستيطان فيها يكون للأوروبيين بإقامة أساس اجتماعي واقتصادي وثقافي وسياسي إداري في شكل إدماجي. وعلى هذا الأساس حاولت هذه التيارات الفكرية العقائدية تكريس نظام حكم في الجزائر قائم على ثلاثة أهداف هي:

\* إقامة كيان اجتماعي غريب.

\* إقامة نظام سياسي إداري جديد.

\* ربط الشعب المستعمر بحضارة وثقافة المستعمر الغازي.

ولتحقيق هذه الأهداف طبقت هذه التيارات الفكرية وعلى رأسها السلطة الفرنسية سياسة معينة في الجزائر مرّت بالمراحل الآتية:

\* الغزو والاحتلال

\* السيطرة المنظمة والواسعة.

\* تشجيع الهجرة الاستيطانية الأوروبية لبناء قاعدة ديموغرافية غير طبيعية موالية ومناصرة للقوة العسكرية.

\*محاولة الانفصال في النهاية عن البلد الأم.

ويظهر هذه التيارات انتقلت القضية الجزائرية من قضية وطنية تخص العلاقات الفرنسية - الجزائرية إلى قضية دولية استقطبت اهتمام الرأي العام الشعبي والرسمي، بل وتطورت من قضية اقتصادية ذات مصالح مشتركة بين دول حوض البحر المتوسط وشركاته إلى قضية فكرية وسياسية شغلت بال المفكرين على مختلف مستوياتهم بطرحها لقضايا شائكة آنذاك مثل الحرية والمستقبل والإدماج والمساواة والتوسع والاحتلال والجللاء والاستقلال والدين والحضارة والتجارة الحرة والصناعة. والسؤال المطروح كيف كان موقف النخبة الجزائرية من هذا الواقع الجزائري المختلف فيما بينه والمناقض للواقع الأوروبي الدخيل المتناقض فيما بينه أيضا؟

كانت مواقف الجزائريين مختلفة؛ فحمدان بن عثمان خوجة مثّل وجهة نظر تختلف عما كان يمثلها كل من أحمد بوضربة والحسن بن عزوز مثلا. ونخصّ الحديث في هذا المقام بما التزم به هذا الأخير من مواقف معتمدين على مشروعه المخطوط النادر الذي قدمه إلى ملك فرنسا؛ وهو الهدف الذي نرعى إليه من كتابة هذا الموضوع قصد التعريف بهذه الوثيقة النادرة.

ونقول بشكل مؤقت أنه قد تكون من الأسباب التي دفعت الحسن إلى التحول والميل من مجاهد ضد السلطة الفرنسية لما كان أحد خلفاء الأمير إلى مناصر لسياسة "الاندماج" هو حبه للجزائر التي كان يريد لها قوة متطورة؛ وقد يكون أيضا لسبب عزله من منصب الخليفة. وقد يكون لقناعته أنه لا خطر من فرنسا إذا عملت على تطوير البلاد شرط استبقاء الأحوال الشخصية للجزائريين عربية - إسلامية. ومهما يكن يمكن اعتبار وجهة نظره أنها تعبر عن مستوى فكري جزائري له قيمته آ.

من هو الحسن بن عزوز؟ وما هو موقفه تجاه الاستعمار الأوروبي؟ وهل هو من السلفيين أم من المتصوفين أم من المجددين؟

"الحسن بن عزوز مثلما وصفه الجنرال نيقريه (Négrier) بالرجل الخطير، لأنه أداة الرعب في هذه البلاد". فهو رجل حرب أكثر مما كان رجل علم ودين برغم أنه من الأسر الدينية العريقة التي قدمت من الغرب الجزائري واستقرت في الزيبان. ونشأ الحسن في قرية الميدة في هضبة مقابلة للزعاطشة. وفي طولقة كان الكاتب الخاص لفرحات بن سعيد. وقد كلفه هذا الأخير بحمل رسالة إلى القائد العام الفرنسي دو روفيكو عام 1832 قصد محاربة الحاج أحمد باي ويمكن اعتبار هذا أول اتصال بين أهم منطقة في الصحراء بالسلطة الفرنسية منذ دخولها الجزائر العاصمة.

ومهما يكن فقد لعبت أسرة الحسن بن عزوز أدوارا مختلفة في الحياة اليومية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وخلالها، وتنتمي هذه الأسرة إلى زاوية الدراج الرحمانية التي جمعت بين المهام العلمية والطرفية المرابطية. وكان من أشهر العناصر لهذه الأسرة محمد بن عزوز الذي أخذ الطريقة عن الشيخ ابن عبد الرحمن باش تارزي ثم المكّي بن عزوز الذي هاجر إلى تونس ونشر بها الطريقة الرحمانية حيث أنشأ زاوية بنقطة. عاش الحسن بن عزوز حياة سياسية مضطربة، فهو الذي كلف مثلما سبق ذكره من طرف فرحات بن سعيد للاتصال بالدوق دو روفيكو القائد العام 1832 بهدف التعاون مع القوة الفرنسية للقضاء على قوة الحاج أحمد باي. وهو الذي تقرب من البركاني خليفة الأمير عبد القادر فعينه شيخا على واحة الزعاطشة عام 1837 لكن طموحه أوصله إلى نوال الخطوة من الأمير عبد القادر فعينه خليفة على الزيبان عام 1838 ونصبه البركاني في مدينة مسيلة. لكنه انهزم يوم 24 مارس عام 1840 أمام قوة ابن قانة. وكان فرحات بن سعيد يحارب ابن قانة حين نصبته السلطة الفرنسية شيخا للعرب على الصحراء فلم يكن من الأمير إلا أن يعزل الحسن بن عزوز ويعين أحمد بن الحاج المعروف بمحمد الصغير بن عبد الرحمان عام 1841.

ألقت قبائل منطقة مسيلة القبض على الحسن بن عزوز وسلمته إلى خليفة مجانة فسلمه بدوره إلى السلطة الفرنسية عام 1841 فنفته ثم أعادته إلى عنابة عام 1844 حيث توفي فيها عام 1847. وبعد إلقاء القبض عليه تغيرت قناعته ومال إلى ضرورة إقامة نظام حكم فرنسي في الجزائر للعمل على تطوير المجتمع الجزائري. ولتحقيق هذا الغرض راسل جهات متعددة مثلما أفادنا ياكونو. ومن هذه الرسائل كانت إلى ملك فرنسا وإلى الملكة الفرنسية وإلى أمراء الأسرة الملكية وإلى المارشال سولت والجنرال بوايه والجنرال سيستيانى وإلى مدير الشؤون الإفريقية في وزارة الحربية بجانب المراسلات إلى شخصيات جزائرية لها مكانتها في تاريخ الجزائر السياسي آنذاك أمثال الأمير عبد القادر ومصطفى بن إسماعيل وسيدي لعربي. وكذلك إلى شخصيات تونسية. وإننا نشاطر الرأي الذي ذهب إليه ياكونو من أن الحسن يعدّ السجين الجزائري الوحيد خلال هذه الفترة الذي له مراسلات سياسية غزيرة حول القضية الجزائرية.

والمحلل لرسائل الحسن يتبين له طموحه الكبير في تحقيق شئيين أساسيين الأول مسعاه في تطوير وتقديم الجزائر على غرار الدول المتقدمة مناصرا لفكرة الإدماج. والثاني رغبته الملحة في تولي منصب الخليفة في الجزائر مقابل أن يدفع ضريبة مالية معتبرة للسلطة الفرنسية

ومن أهم المراسلات تلك التي بعث بها إلى الأمير عبد القادر في سبتمبر عام 1841 يقترح له فيها مراسلة السلطة الفرنسية قصد إقرار السلم معها. وقد يكون الحسن بهذا الموقف على دراية أن الجهاد الجزائري العسكري لا يستمر وهو الأمر الذي فعل به الأمير عبد القادر عام 1847.

ولنا أن نعرض أهم رسالة في نظرنا تتعلق بموقفه من السياسة الفرنسية ونعني بها التي بعث بها إلى ملك فرنسا عارضا عليه مشروعاً تضمن أربع وعشرين نقطة (مشورة أو استشارة) افتتحها مخاطباً الملك الفرنسي قائلاً: "...لنعلم إننا نرجو من الله تعالى.. أن يعطيك عشرة خصال أولها السلطنة والنصر والظفر والمال والأولاد والعافية والمناة والبسطة في الرعية وطول العمر والبركة."

من غير المستبعد أن تكون السلطة الفرنسية قد استعانت به ووظفت فكره خدمة للتوسع الفرنسي ولكسب السكان إلى صفها.

والحقيقة أن سؤالاً محيراً بعض الشيء في أصل هذه الوثيقة، إذ بمقارنتها مع مراسلات له أيام كان خليفة يتبين الاختلاف بينهما؛ ففي تلك التي بعث بها إلى حكام تونس كانت ذات لغة عربية راقية بعض الشيء خلاف هذه المراسلة التي كتبت بالعامية، وإن كان المستوى الفكري في الطرح متقارباً الأمر الذي يدفع إلى القول إن أحدهما أملت والثانية كتبت بخط الحسن بن عزوز وإننا نرجح أن تكون هذه الوثيقة المشورة هي بخط الحسن. أما المراسلات السابقة الأخرى كان يملئها وهو خليفة على غرار ما كان يفعل الأمير عبد القادر وخلفائه، نقول بهذا إلى أن يثبت العكس.

وكيف ما كان الحال فالسؤال المطروح عند الحسن هو كيف يتم إصلاح وتطوير الجزائر؟ عند الحسن بن عزوز لا يتم ذلك إلا إذا أخذ ملك فرنسا بمشروعه الذي يمكن عرضه على الصورة الآتية:

بعد أن أشاد بمناقب سلطان فرنسا على أساس أن بلاد العالم كلها تعرف قوته، وبعد أن بين أن سبب تقدم كل من مصر وتونس راجع إلى دور فرنسا "وليكن في خبرك أن خبرك وشيعتك في جميع الأرض والسلطين ساير الترك ومصر والشام والعراق واليمن وجميع الأرض كلها سامعة وأن الفرانصيص صاحب سلطنة كبيرة وعصاكر غزيرة واليوم أنت الذي معمر الأرض لأن صاحب مصر يعني سلطانها لم يسجا له شيء فلما صار له الفرانصيص حبيبا صديقا قويت عصاكره وكثرت خزنته ولول ما الفرانصيص لم يعمر مصر وكذلك تونس الفرانصيص لما صار حبيبا لهم عمرت بلادهم وكثرت عصاكرهم والحاصل أن الفرانصيص هو الذي معمر الأرض برايه وصلاحه". بعدها يتساءل عن عدم تقدم الجزائر رغم أنها تحت حكم فرنسا؛ لهذا رأى ضرورة تطبيق مشروعه لتطوير الجزائر

ولتستفيد منها فرنسا فقال: "واليوم يساعدنا السلطان أن الله ملك لك أرض العرب جميعا ولم تعمرها لأنك متكل على الجنرالات وتقبل في كلامهم وقولهم حتى فسدت أرض العرب والعرب لم يعمر وطنها والفرانصيص لم يصدر فائدة لكنه يا سعادة السلطان إن لم تفعل لنا تأويلا حسنا فنخاصمك بين يد رب العالمين. وحاصله إن كنت أرض العرب(الجزائريين) تملكها وتعمرها حتى تكون كأرض فرنصة ويستوا حكمها حتى يتمكن الحكم في جميع عبادها ويزول الحرب وتعمر الأرض ويكون الربح للفرانصيص فأقول لك اجعل خمسة وعشرون مشورة في أرض العرب."

أول نقطة أو (مشورة) أن يكون ابن السلطان نفسه هو الحاكم العام على الجزائر قائلا: "على الفرانصيص أن يجعلوا ولد الراي سلطان في الجزائر ويكون حكم أرض لعرب على يده". من غير المستبعد أن يكون موقف الحسن الحريص على ضرورة أن يكون الحاكم فرنسيا فناعةً منه بأن أمر الجزائر لا يصلح بحاكم عربي أو "تركي" وقد تكون هذه الفناعة ناتجة عن تجاربه أثناء مشاركته في إدارة البلاد مع قادة جزائريين. وهذه إشارة لها دلالتها إذ أن النعرات والأنفة التي كانت في أوساط القبائل الجزائرية تمنع الولاء المطلق لحاكم جزائري من قبيلة معينة؛ ولنا أكثر من دلالة على التفاف الصفوف الجزائرية أكثر وأوسع متى كان الحاكم غير جزائري مثلما الحال حين حصل لحكام أترك، أو لبعض الشيوخ الوافدين من المغرب الأقصى مثل بن الأحرش الدرقاوي الذي التفت به القبائل لأنه شخص غير منتمي لقبيلة محلية.

أما في (المشورة) رقم 3 و4 و13 و19 كان يدعو من خلالها إلى التزام ابن السلطان الفرنسي ببسط نفوذه بشكل مطلق على كل المدن الجزائرية خاصة على وهران ومستغانم وبجاية وسطيف وسكيكدة وقسنطينة وعنابة. وألحَّ من خلالها أيضا على ضرورة التطبيق السريع لتنظيم العساكر على أن يكون الجيش المسيطر على البلاد من الفرنسيين والجزائريين معا، شرط أن تحتفظ السلطة الفرنسية بأولاد ونساء المجندين الجزائريين كرهائن، إذ يقول: "لازم على ولد الراي ينظر إلى عساكر جميعا الذي له امرأة وأولاد ساكنا بهم مع الفرانصيص يجعله عسكرا الذي ليس له أولاد ولا امرأة يأمره يأتي ضامنا يضمن فيه وأما الذي ليس له دار ولا نساء ولا أولاد ولا ضامنا لا يجعله مع العسكر لأنه لا يصلح. ينظر إلى السبايس متاع العرب فمن وجده له دار أو امرأة وأولاد وضامنا يضمن فيه يجعله مع السبايس الذي له أولاد ونساء وهم عند العرب يأمره ولد الرأي يأتي بهم إلى المدينة" وكانت نية الحسن بن عزوز من تطبيق هذا الإجراء تحقيق هدفين:

الأول: خدمة المصالح الفرنسية والجزائرية بإخلاص.

الثاني: حتى لا يفكر المجندون في الهروب بأسلحتهم من الصفوف الفرنسية. ولسنا ندري ما إذا كان لمثل هذه الآراء أثر على ما طبقتته السلطة الفرنسية حين وضعت عائلات الجزائريين المجندين تحت الرقابة، أو حين نفت بعضهم إلى فرنسا بتعلّة التعلّم في فرنسا.

وفي النقطة (المشورة) السادسة اقترح ضرورة تعليم أبناء الفرنسيين اللغة العربية وأبناء العرب اللغة الفرنسية "أن ولد الرأي يجعل لأولاد الفرانكسيين من يقريهم قراءة العرب ويجعل لأولاد العرب أحدا من الفرانكسيين يعلمهم قراءة الفرانكسيين". وقد لقيت هذه النقطة اهتمام القادة الفرنسيين في الجزائر ومن غير المستبعد أن يكون لهذا الرأي أثر على السياسة الفرنسية في تطبيق هذا اللون من السياسة التعليمية الممهدة "للإدماج". لأنه سبق للسياسة الفرنسية أن اعتمدت سياسة تعليمية متميزة في الجزائر بداية من عام 1832 حين ظهر إعلان للناس في ورقة "خبور الجزائر" من أجل تعليم اللغة العربية في بيت أحد المترجمين من الشوام في تاريخ 19 سبتمبر 1832 وهذا نصّه: "ليمن يحب يتعلم اللغة العربية من أهل العرب ان المعلم حنا بن لياس فرعون ترجمان كاتم سر حضرة سعادة الجنيرال الكبير سلطان الجزائر يفتح في داره اسكول (مدراسة) ويعطي ليسيون ثلاثة أيام في الجمعة وهم الثلاثاء والخميس والسبت من الساعة سابعة إلى ثمانية ونسف بلسهرة... وان التعليم يدوم ستة اشهر والثاني يكون ستين فرنك ثلاثين نقدا والباقي فيما بعد."

وكان الحسن من أنصار نشر التعليم العربي والفرنسي في وسط كلا الجانبين الجزائري والأوروبي. وقد تضاعف الاهتمام بهذا القطاع خاصة بعد سنة 1851 حيث بلغ عدد المدارس في مقاطعة قسنطينة وحدها 522 مدرسة في المستوى الأول والثاني؛ سجل بهما 5731 تلميذ. وفي عام 1852 بلغ العدد بنفس المقاطعة 938 مدرسة استقطبت 7450 تلميذا من كل الجنسيات في حين كان عدد التلاميذ الجزائريين في الأرياف بالزوايا كبيرا (حوالي 3000 تلميذ.)

ومن باب المقارنة يتبين أن عناصر أخرى سبقت الحسن في المطالبة بتكريس سياسة تعليمية من هذا النوع إذ لما تولى جانتي دي بيسي الإدارة المدنية برتبة وكيل مدني من مارس 1832 إلى 1834 لم يتوان في تطبيق سياسة تعليمية فرنسية؛ وقناعته كانت كبيرة في أن نشر اللغة الفرنسية في الجزائر وسيلة هامة يتمكن بها الاستعمار من تحقيق هدفه كاملا. وبوم 15 أكتوبر عام 1832 اختير ليشو (Lepescheux) وهو من المتخصصين في التعليم للقيام بهذه المهمة وليكون المفتش العام للدراسات في الجزائر.

كان جانتي دي بيسي قد وضع برنامجا تربويا تضمن تأسيس ثلاث مدارس في كل من الجزائر العاصمة وعنابة على أن تكون الأولى للأوروبيين واشترط عليهم تعلم العربية الجزائرية. والثانية لليهود والثالثة للجميع من أوروبيين وعرب ويهود. ثم تأسس معهد خاص للفرنسيين والجزائريين. يعني هذا أن الوكيل المدني هذا قد وضع سياسة تعليمية لائكية في الجزائر. وبهذه الإجراءات من السياسة التعليمية الفرنسية تكون الحركة التعليمية في الجزائر قد انحصرت خلال هذه الفترة في ثلاثة مستويات هي بالإضافة إلى التعليم في الزوايا:

أولا: تعليم فرنسي أوروبي خاص بأبناء المعمرين مادته اللغة الفرنسية وقليل من العربية.

ثانيا: تعليم لائكي خاص بالعرب والأوروبيين واليهود ومادته العربية والفرنسية.

ثالثا: مدرسة إسرائيلية خاصة بأبناء اليهود.

وقد أولت السلطة الفرنسية عناية خاصة بهذا المستوى التعليمي اللائكي. ولم تقصره على الأطفال فقط، بل أقرت تعليمه بشكل موازٍ للكبار في دروس مسائية مكثفة موجهة باللغتين الفرنسية والعربية؛ الأولى إلى معظم الجزائريين الموظفين في إدارة السلطة الفرنسية عسكريين ومدنيين، والثانية إلى الموظفين الفرنسيين في إدارة الاحتلال الفرنسي إذ أن بيجو أصدر قرارا عام 1845 فرض به على الأوروبيين الموظفين في إدارة الاحتلال أن يتعلموا اللغة العربية العامية الجزائرية. ومن غير المستبعد أن يكون للحسن بن عزوز وأمثاله وللمستشرقين من سان سيمونيين وماسونيين الدور الكبير في تنشيط هذا النوع من التعليم في الجزائر.

ودعا الحسن في النقطة السابعة من المشروع إلى ضرورة العمل بأحكام الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية للجزائريين والعمل بنصوص القانون الفرنسي في المجالات الأخرى غير الأحوال الشخصية "لازم على ولد الراي كل مدينة مثل الجزائر وقسمطينة يجعل فيها قاض يحكم بشريعة العرب وقاض يحكم بشريعة الفرانصيص". وكأن الحسن بن عزوز حاول أن يجيب عن السؤال المطروح: كيف يحافظ المسلمون على مقوماتهم الدينية وفي نفس الوقت يسايرون تطور الشعوب الأخرى؟"

واقترح في النقطة الثامنة والنقطة الخامسة والعشرين تعيين رجل من المدينة حاكما على الريف بمساعدة مشايخ القبائل، على أن يستبدل هؤلاء المشايخ تدريجيا بخلفاء فرنسيين، عارفين لغة وعادات السكان الجزائريين "ولازم على ولد الراي أن العرب لا يجعل عليهم قايد إلا من أهل المدينة الذي راه بالمدينة مع الفرانصيص وأما المشايخ يجعلهم من العرب... حين تخدم العرب ويزول من

عنها السلاح والخيل وتلبس لبست الفرانصيص ابدال الخلفوات متاع العرب ويجعل الخلفوات من الفرانصيص واما الخلفوات متاع العرب يجعلهم قياد والخلفوات الذي يجعلهم من الفرانصيص لابد يعرفون كلام العرب."

واقترح في النقطين الرابعة عشرة والسادسة عشرة ضرورة إحصاء عدد الخيول بقطاع الشرق الجزائري. على أن يتم بيعها للفرنسيين فقط وكذلك الحال بالنسبة للمباني "لازم على ولد الراي يعلم القيادة والمشايخ متاع العرب كل قايد وإلا شيخ يعرف عدد الخيل متاع عرشه فحين يعرفونه بعددهم يأمرهم ولد الراي لا يبيع أحد عود إلا للفرانصيص... أن يأمر أهل قسطينة والجزائر ووهران ألا يبيع أحد داره إلا للفرانصيص". وحدد الحسن بن عزوز موقفه حول هذه القضية لأن فرنسا كانت في حاجة إلى الخيول التي تحصلت عليها من جهات مختلفة خاصة من تونس. أما بيع العقارات فقد أصدرت السلطة الفرنسية جملة من القوانين تمنع على الجزائريين بيع الممتلكات للفرنسيين.

ونبه في النقطة الثالثة والعشرين إلى ضرورة بناء السجون في الجزائر بدل النفي والسجن خارجها. وعلى فرنسا أن تشرف بشكل محكم على جمع ثروة المسلمين السائبة وبيعها "لازم على ولد الراي أن يبطل الحبس على العرب في افرنصه لأن الناس الذي تكره الفرانصيص كانوا يقولون للعرب وأن الفرانصيص حين تطعوه أعود يمسك كبراء العرب ويديها إلى افرانصه وهذا الأمر افسد العرب على الفرانصيص لا بد على ولد الراي يجعل الحبس في الجزائر لأن الحبس كل واحد في بلاده."

أما في النقطين العاشرة والحادية عشرة فقد رأى أنه من الأساسيات لتطوير البلاد أن تعمل السلطة الفرنسية على تجميع المياه وتصريفها في قنوات للري لأنه يوجد حسب قوله في قطاع الشرق الجزائري حوالي 500 منبعاً مائياً وهي على الأودية التي يمكن بواسطتها زراعة مساحات كبيرة من الخضر والفواكه مثلما هو الحال في فرنسا. "لازم على ولد الراي أن يعرف عدد المياه الذي في العيون والويدان وسائر عمالة قسطينة وعنابة واسكيددة وناحية صطيف وكذلك متيجة بناحية الجزائر فإذا عرف عدد المياه الذي في العيون والويدان جعل لكل عين أحداً من المركاتيه يجعل عليها برجاً ويعمر تلك العين ويغرس الأرض ويجعل فيها الأشجار كما كانت في أفرانصه الذي يعمر عين وإلا على وادي من الويدان النصف للمركاتيه والنصف للفرانصيص حتى يعمرهم جميع العيون والويدان لأن العرب هاملين المياه ولا يعرفون لها تأويلاً لأن العيون كثيرة لأنهم من عنابة إلى صطيف نحو الخمسة مائة عين.

كما نبه الحسن بن عزوز السلطة الفرنسية إلى المبادرة بتخصيص 500 جابدة/ زويجة في قطاع الشرق للتمكن من حث وزرع مساحات من الأرض، لأن ذلك سيكون من العوامل التي تحفز السكان للإقبال على فلاحة الأرض وتطويرها حيث قال: "لازم على



ولد الراي خمسة مائة جابدة للحرث ماتين جابدة بعنابة واسكيكدة وماتين جابدة بقسمطينة وماية جابدة بناحية صطيف ويحرث في الأرض القمح والشعير والوبية حتى تعمر الأرض وتكون كافرانصة لأن الناس يعني العرب حين يحرث الفرانصيص في الأرض يتحققون وأن الفرانصيص يعمر في الأرض."

وخلاصة الرأي عنده أن الجزائر لا تتطور مادام العرب يركبون الخيول ويحملون السلاح ويلبسون الصوف. قد تكون هذه إشارة إلى المرابطين والطرقيين وما دام الفرنسيون لم يتمكنوا من احتلال البلاد كلها، وما دام القادة لا يعرفون لغة الجزائر العكس عند الجزائريين الذين لا يعرفون لغة الفرنسيين.

وشاطر كثير من الفرنسيين رأي الحسن بن عزوز ومنهم الإمبراطور نابليون الثالث الذي أيد إقامة سياسة إدارية "إدماجية" في الجزائر وقد كتب رسالته المشهورة لحاكم الجزائر عام 1860 قائلا: "...لا يمكن التسليم بموافقة حصر العرب في مساحة صغيرة من الأرض... وأنا إن فعلنا ودفعنا العرب إلى أقصى البادية لنكون قد رشقناهم بمصاب الهنود الأمريكية (كذا) الشمالية... فهأك أيها الماريشل الطريق التي يجب أن تسلكها واني لأقول تكرارا إن الجزائر ليست بعمالة خارجية ولكنها مملكة عربية..." بهذا يكون نابليون الثالث أراد إنصاف الجزائريين بمنحهم الأراضي وإقامة مملكة عربية تكون الإدارة بها موزعة على ثلاثة مستويات:

الأول: في المدن والمناطق المجاورة لها وأغلبية سكانها من الأوروبيين وتخضع لنفس القوانين التي يخضع لها سكان باريس.

الثاني: يكون خليطا بين سكان جزائريين يخضعون لحكم عسكري وبين سكان مهاجرين يخضعون لإدارة مدنية فرنسية.

الثالث: يسكنه الأهالي الجزائريون يخضعون للسلطة العسكرية عن طريق المكاتب العربية التي يرأسها جزائريون، ويكونون حلقة الوصل بين السكان والسلطة العسكرية.

وصفوة القول مما تقدم نخلص إلى أن اهتمامات الحسن كانت مركزة حول ضرورة الإصلاح الاجتماعي والفلاحي والإداري للبلاد في ظل الاحتلال الفرنسي الشامل الذي رآه ضرورة لتطوير البلاد ولم يكن يرغب عودة النظام العثماني وبقاء أثره في الجزائر بل كان يفضل أن يكون النظام في الجزائر فرنسيا وأكد هذا في المشروع المذكور.. فقد كان من أنصار العمل بالقانون المدني الفرنسي في القضايا المدنية وبالشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية تكون. إذن كان الحسن بن عزوز من أنصار سياسة "الإدماج" وتحديث البلاد وفقا للقوالب الفرنسية.

## نصّ المشروع

يتكون من 12 ورقة ذي الحجم الكبير ويخط كبير وبلغة هي خليط بين عربية وعامية محلية. وحسب التاريخ المسجل بها في أرشيف وزارة الحربية فانسان H228 هو ديسمبر 1841 لكن محتواها يبين أن تاريخها قد يكون ما بين عامي 1843 و 1845.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سلسلة الذهب...سلطان فرنسا وأرض العرب السيد السديد ورايه مستقيم السلطان الراي ياليه عليك مني السلام...."....لتعلم  
إننا نرجو من الله تعالى.. أن يعطيك عشرة خصال أولها السلطنة والنصر والظفر والمال والأولاد والعافية والهناء والبسطة في الرعية  
وطول العمر والبركة وليكن في خبرك أن خبرك وشيعتك في جميع الأرض والسلطين ساير الترك ومصر والشام والعراق واليمن  
وجميع الأرض كلها سامعة وأن الفرنضيص صاحب سلطنة كبيرة وعصاكر غزيرة واليوم أنت الذي معمر الأرض لأن صاحب مصر  
يعني سلطانها لم يسجا له شيء فلما صار له الفرنضيص حبيبا صديقا قويت عصاكره وكثرت خزنته ولول ما الفرنضيص لم يعمر  
مصر وكذلك تونس الفرنضيص لما صار حبيبا لهم عمرت بلادهم وكثرت عصاكرهم والحاصل أن الفرنضيص هو الذي معمر الأرض  
برايه وصلاحه واليوم ياسعادة السلطان أن الله ملك لك أرض العرب جميعا ولم تعمرها لأنك متكل على الجنرالات وتقبل في كلامهم  
وقولهم حتى فسدت أرض العرب والعرب لم يعمر وطنها والفرنضيص لم يصدر فائدة لكنه يا سعادة السلطان إن لم تفعل لنا تأويلا  
حسنا فنخاصمك بين يد رب العالمين. وحاصله إن كنت أرض العرب(الجزائريين) تملكها وتعمرها حتى تكون كأرض فرنصة ويستوا  
حكمها حتى يتمكن الحكم في جميع عبادها ويزول الحرب وتعمر الأرض ويكون الربح للفرنضيص فأقول لك اجعل خمسة وعشرون  
مشورة في أرض العرب.

المشورة الأولى وهو لازم على الفرنضيص أن يجعلون ولد الراي سلطانا في الجزائر ويكون حكم أرض العرب على يده.

المشورة الثانية ان لازم على ولد الراي يمشي جميع حكمه مثل وهران وعنابة ومستغانم وابجاية واسكيكدة وقسمطينة وصطيف بأن  
يرتب أمرهم ويصحح حالهم.

المشورة الثالثة ان لازم على ولد الراي ينظر إلى عصاكر جميعا الذي له امرأة وأولاد ساكنا بهم مع الفرنضيص يجعله عصكرا الذي ليس له أولاد ولا امرأة يأمره يأتي ضامنا يضمن فيه وأما الذي ليس له دار ولا نساء ولا أولاد ولا ضامنا لا يجعله مع العصكر لأنه لا يصلح.

المشورة الرابعة ينظر إلى السبايس متاع العرب فمن وجده له دار أو امرأة وأولاد وضامنا يضمن فيه يجعله مع السبايس الذي له أولاد ونساء وهم عند العرب يأمره ولد الرأي يأتي بهم إلى المدينة فإذا صحح أمر العصكر والسبايس يأمر ولد الرأي أن جميع الناس الذي بوهران والجزائر وقسمطينة وعنابة يلبسون الملف وكل من ليس الصوف يحكم فيه وهذا الأمر لا يجعله ولد الراي إلا لأهل المدينة.

المشورة السادسة وهو أن ولد الراي يجعل لأولاد الفرنضيص من يقريهم قراءة العرب ويجعل لأولاد العرب أحدا من الفرنضيص يعلمهم قراءة الفرنضيص.

المشورة السابعة لازم على ولد الراي كل مدينة مثل الجزائر وقسمطينة يجعل فيها قاض يحكم بشريعة العرب وقاض يحكم بشريعة الفرنضيص.

المشورة الثامنة ولازم على ولد الراي أن العرب لا يجعل عليهم قايد إلا من أهل المدينة الذي راه بالمدينة مع الفرنضيص وأما المشايخ يجعلهم من العرب.

المشورة التاسعة (غير موجودة في نص الوثيقة)

المشورة العاشرة وهو لازم على ولد الراي أن يعرف عدد المياه الذي في العيون والويدان وساير عمالة قسمطينة وعنابة واسكيكدة وناحية صطيف وكذلك متيجة بناحية الجزائر فإذا عرف عدد المياه الذي في العيون والويدان جعل لكل عين أحدا من المركاتيه يجعل عليها برجا ويعمر تلك العين ويغرس الأرض ويجعل فيها الأشجار كما كانت في أفرانسه الذي يعمر عين وإلا على وادي من الويدان النصف للمركاتيه والنصف للفرنضيص حتى يعمرهم جميع العيون والويدان لأن العرب هاملين المياه ولا يعرفون لها تأويلا لأن العيون كثيرة لأنهم من عنابة إلى صطيف نحو الخمسة مائة عين.

المشورة الحادية عشر وهو لازم على ولد الراي خمسة مائة جابدة للحرث ماتين جابدة بعنابة واسكيكدة وماتين جابدة بقسمطينة وماية جابدة بناحية صطيف ويحرث في الأرض القمح والشعير والوبية حتى تعمر الأرض وتكون كافرانصة لأن الناس يعني العرب حين يحرث الفرانصيص في الأرض يتحققون وأن الفرانصيص يعمر في الأرض.

المشورة الثانية عشر وهو لازم على ولد الراي إذا كرت امتاع الفرانصيص الذي بقسمطينة وعنابة كل عام يرصمونه الجنرالات إلى العرب ولازم على ولد الراي أن لا يعطيه للعرب يرصمونه المركانتيه متاع الفرانصيص.

المشورة الرابعة عشر وهو لازم على ولد الراي يعلم القيادة والمشايخ متاع العرب كل قايد وإلا شيخ يعرف عدد الخيل متاع عرشه فحين يعرفونه بعددهم يأمرهم ولد الراي لا يبيع أحد عود إلا للفرانصيص.

المشورة الخامسة عشر أن الفرانصيص جعل صطيف مدينة لازم على ولد الراي أن يأمر عمر والعلمة الذين قريبا من صطيف يجعل من عمر خمسين رجلا الذي بأولادها ولها مالا بينون ديار بصطيف ويجعل أولادهم سبايس وهم يجعل منهم القيادة والمشايخ.

المشورة السادسة عشر وهو لازم على ولد الراي أن يأمر أهل قسمطينة والجزائر ووهران ألا يبيع أحد داره إلا للفرانصيص.

المشورة السابعة عشر وهو لازم على ولد الراي أن الملح الذين يملحون به الطعام يجعل عليه عسة ويرفع منه إلى قسمطينة وإلى صطيف وإلى عنابة والناس تشتري من هناك لأن هذا الأمر فيه دراهم كثيرة عديدة.

المشورة الثامنة عشر وهو لازم على ولد الراي أن يجعل بقسمطينة وعنابة ووهران وأم عصكر ومستغانم ومليانة والمدية على كل بلد خليفة يحكم في العرب وأما الجنرال يحكم في عصكر الفرانصيص والخلفوات الذين يجعلونهم الذين يكونون لهم نساء وأولاد وديار في حكم الفرانصيص وجميع الخلفوات يجعلون نساءهم وأولادهم في الجزائر عند سعادة ولد الراي ويرسل الخلفوات ولد الراي كل خليفة إلى بلد كما أن سعادة السلطان يبعث الجنرالات من افرانصة ويتركون نساءهم وأولادهم بافرانصة فيجب كذلك أن ولد الراي يرسل الخلفوات وأما نساءهم وأولادهم يجعلهم ولد الراي في الجزائر وحاصلهما دام ثلاثة مسايل عند العرب وأمرهم فاسد الأولى مادامو يركبون الخيل ويرفعون السلاح ويلبسون الصوف لأن هذه المسايل هي التي مفسدة العرب وأما الفرانصيص فاعل ثلاثة مسايل لا يملك أرض العرب أولها يجعلون الجنرالات يحكمون في العرب العرب لا يعرف كلام الجنرال والجنرال لا

يعرف كلام العرب والمسئلة الثانية انهم يجعلون محلّة يرفعونها على الأبدال الثالثة يخرجون عصكر الفرانصيص يقاتل العرب وهذه الأمور لا تصلح وليس فيها فائدة.

المشورة التاسعة عشر وهو لازم على ولد الراي ان يجعل كما هو جاعل سلطان تونس وسلطان فاس وكما هم جاعلين الترك لمحلتهم لأن جميع السلطنة جاعلين لمحلتهم الإبل لأن الإبل لا تأكل الشعير والقرط مثل الأبدال لأن أكلها من نبات الأرض وأما الأبدال تأكل في كل ليلة الشعير ولأن الإبل لا تشرب الماء إلا بعد خمسة أيام والأبدال كل يوم تشرب الماء ولأن الإبل خمسين بعير يسوقها أحدا والأبدال كل بغلة بأحد يسوقها فالأزم على ولد الراي أن يجعل الإبل على العرب الذي يقرب قسطنطينة لأنهم أربعين عرشا كل عرش يجعل عليه خمسين بعير فالمجموع ألفين بعير ثم يعرف عدد العصكر ويجعل له الخبية مثل خبية الترك ويجعل في كل خباء خمسة وعشرين عصكرا ممن يجمع الإبل والخبية يأتي بالعصكر متاع قسطنطينة ويتركون نساءهم وأولادهم في قسطنطينة ويأتي بعصكر عنابة ويتركون أولادهم ونساءهم بعنابة ويأتي بعصكر وهران ويتركون أولادهم ونساءهم بوهران ويأتي بعصكر مستغانم ويتركون أولادهم ونساءهم بمستغانم ويأتي بالسبايس كل واحد من السبايس يترك أولاده ونساءه مثل العصكر وكذلك العصكر الذي في الجزائر يترك أولاده ونساءه في الجزائر والخلفوات الذي جاعلهم معهم يسافرون مع المحلة ويتركون أولادهم في الجزائر ويجعل خليفة على المحلة الذي فيه العقل فيه كبير ورأيه رأي مستقيم يكون عارف بجميع الأمور الذي تظهر (...). ولا يجعل الظلم والزور ويحسن العرب ويولفها للفرنصيص والمحلة لا تأكل وتشرب من عند الفرنصيص وإنما أكلها وشرابها من عند العرب كما حلت الترك وكما جاء لا الحاج عبد القادر.

المشورة للعشرين وهو أن واجب على ولد الراي حين تخرج المحلة فحين تقوم بأعمال قسطنطينة يكون ولد الراي في قسطنطينة لتكون له المحلة قريب وتكون المشورة له على جميع الكلام وإذا رحلت المحلة ونزلت بالعرب بالمدينة يكون ولد الراي بالمدينة ليكون الكلام له على جميع الكلام وحين طرح المحلة إلى العرب متاع مليانة يكون ولد الراي في مليانة لتكون له الكلام قريب وحين طرح المحلة إلى العرب مستغانم يكون ولد الراي في مستغانم وحين ترحل المحلة إلى العرب متاع أم عصكر يكون ولد الراي في أم عصكر فإذا تمت المحلة أمرها وقضيت حوايجها يأمرها ولد الراي ترجع الجزائر ويأمر ولد الراي الخلفوات والقياد والمشايخ كلها تأتي له إلى الجزائر وولد الراي يرجع للجزائر فحين تأتيه القياد والمشايخ وكبراء العرب يفرح بها فرحا كبيرا ويلبسها ويعطيها الأمر الذي يفرحها ويرفع قدرها ويسرح المحلة كل أحد يرجع إلى موضعه الذي بلده الجزائر يبقى فيها الذي بلده وهران

يسرح إليها الذي بلده قسطنطينة يسرح إليها وكذلك السبايس يسرحهم ويأمر العصكر والخلفاوات والسبايس أنهم يمكنون عند ديارهم ثلاثة أشهر فإذا تمت العصاكر والخلفاوات ثلاثة أشهر يأمرهم أن يجتمعون عنده في الجزائر

المشورة الحادي والعشرون وهو أن ولد الراي حين يمكث العصاكر ثلاثة أشهر يجمعها ويجعلها محل ويجعل هو محلة قوية بالعصكر الفرنصيص ويأمر المحلة تخرج وتمشي على ساير العمالة وكل موضع نزلته محلة الترك التي نزلته محلته أما ولد الراي وعصكر الفرنصيص حين تكون المحلة متاع العرب متاع قسطنطينة أما ولد الراي ينزل بقرب قسطنطينة قدر عشرة ساعات وأما محلة العرب ترحل وتنزل ولا تخلف موضع وحين تكون في العرب متاع المدينة أما ولد الراي ينزل من المدينة قدر عشرة ساعات وأما محلة العرب تطوف وترحل وتنزل في جميع الرعية وحين تكون بأمر عصكر إما هو ينزل من البلد قدر عشرة ساعات وأما من محلة العرب ترحل وتنزل على جميع الرعية ويأمرها أن ترجع إلى الجزائر أو يسرح المحلة إلى ديارها ويمكث هو في الجزائر فإذا مكث أربعة أشهر يأمر العصاكر والسبايس تأتبه إلى الجزائر.

المشورة الثانية والعشرون وهولا زم على ولد الراي يجعل محلة عظيمة غزيرة ويجمعها من عصكر العرب ومن عصاكر الفرنصيص والسبايس والسرور ويجمع جميع الخلفاوات والقياد ومشايخ العرب وكبارهم ويخرج ولد الراي مع المحلة ويمشي على جميع الرعية والعرب فيأخذ منهم الخيل والسلاح ويأمرهم بأن جميع العرب تلبس الملف فعند ذلك يرجع وطن العرب كفرنصا وتكون فيه العافية والأمان وينبه على جميع العرب وأن الخيل والسلاح لا يرفعهم أحدا إلى بإذن من الفرنصيص.

المشورة الثالثة والعشرون وهو لازم على ولد الراي أن يبطل الحبس على العرب في افرنصه لأن الناس الذي تكره الفرانصيص كانوا يقولون للعرب وأن الفرانصيص حين تطعوه أعود يمسك كبراء العرب ويديها إلى افرانصه وهذا الأمر افسد العرب على الفرانصيص لا بد على ولد الراي يجعل الحبس في الجزائر لأن الحبس كل واحد في بلاده.

المشورة الرابعة والعشرون وأن أحمد بن مرزاق الذي باي في المدينة وولد إبراهيم باي الذي جعله الفرانصيص حاكم في قسطنطينة لا يفلحون ولا يعرفون شيى ليس لهم عقول.

المشورة الخامسة والعشرون حين تخدم العرب ويزول من عنها السلاح والخيل وتلبس لبست الفرانصيص ابدال الخلفوات متاع العرب ويجعل الخلفوات من الفرانصيص وأما الخلفوات متاع العرب يجعلهم قياد والخلفوات الذي يجعلهم من الفرانصيص لا بد يعرفون كلام العرب والسلام من الحسن بن عزوز اللهم عطف قلب السلطان افرانصه عليه آمين آمين.

يمكن مراجعة هذا الموضوع في كتابي: من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر الطبعة الثانية، 2009, بدءا من صفحة